

سورة الاسراء

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنَ
تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنَ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا
(37)﴾

شرح الكلمات:

{وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا} أي لا تمش متكبراً، مختالاً. وقد أخذ بعضهم من هذه الآية: تحريم الرقص؛ لأنه أشد من المرح، وأشر من الاختيال

{إِنَّكَ لَنَ تَخْرِقَ الْأَرْضَ} بكبرك وتجبرك
{وَلَنَ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا} بتعاطلك وتفاخرك

المعنى الإجمالي :

قوله تعالى: {وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا} أي خيلاء وتكبراً أي مما حرم تعالى وأوصى بعدم فعله المشي في الأرض مرحاً أي تكبراً واختيالاً، لأن الكبر حرام وصاحبه لا يدخل الجنة، وقوله {إِنَّكَ لَنَ تَخْرِقَ الْأَرْضَ} أي برجلك أيها المتكبر لأن المتكبر يضرب الأرض برجليه اعتزازاً واهتزازاً، ولن تبلغ الجبال طولا مهما تعاليت وتناولت فإنك كغيرك من الناس لا تخرق الأرض أي تنقيها أو تقطعها برجلك ولا تبلغ علو الجبال فلذا أترك مشية الخيلاء والتكبر، لأن ذلك معيب ومنقصة ولا يأتيه إلا ذو حماقة وسفه. فالتواضع والأدب أليق بك، والتكبر والتعالي لا يكون إلا للخالق سبحانه وتعالى، فكيف تنازعه سبحانه صفة من صفاته؟ وقد ناهانا الحق سبحانه عن ذلك؛ لأنه لا يستحق هذه الصفة إلا هو

سبحانه وتعالى، وَكَوْنُ الكبرياء لله تعالى يعصمنا من الاتضاع للكبرياء الكاذب من غيرنا. فحينما يُنادى للصلاة مثلاً ترى الجميع سواسية: الغني والفقير، والرئيس والمرؤوس، الوزير مثلاً والخبير، الكل راكع أو ساجد، الكل خاضع لله مُتَذَلِّلٌ لله فقير لله، الكل عبيد لله بعد أن خلعوا أقدارهم، عندما خلعوا نعالهم، ففي ساحة الرحمن يتساوى الجميع، وتتجلى لنا هذه المساواة بصورة أوضح في مناسك الحج. في هذه العبارة نلاحظ إشارة توبيخ وتقريع، كأن الحق سبحانه وتعالى يقول هؤلاء المتكبرين، ولأصحاب الكبرياء الكاذب: كيف تتكبرون وتسيرون فخرًا وخيلاء بشيء موهوب لكم غير ذاتي فيكم؟ فأنتم بهذا التكبر والتعالي لن تخرقوا الأرض، بل ستظل صلبة تتحداكم، وهي أدنى أجناس الوجود وتُداس بالأقدام، وكذلك الجبال وهي أيضاً جماد ستظل أعلى منكم قامَةً ولن تطاولوها. والحق وليعلم أن العبودية لله تعالى تَسْري في الكون كله. فإياك أيها الإنسان أن تخدش هذا الاستطراق العبودي في الكون بمرح أو خيلاء أو تعالٍ.

اقسام الكبر:

ينقسم الكبر إلى ثلاثة أقسام:

- 1- التكبر على الله. فالتكبر على الله: هو أفحش أنواع التكبر، وسببه الجهل المَحْض، مع تشبُّع النفس بالطُغيان
- 2- التكبر على الرُّسل.
- 3- التكبر على الناس من غير المرسلين.

أسباب الكبر

- 1- العلم: ما أسرع التكبر إلى بعض العلماء أو المثقفين! فلا يلبث أن يستشعر الواحد منهم في نفسه كمال العلم فيستعظم نفسه ويستحق الناس ويستجملهم، وسواء أكان العلم شرعياً أو علمًا ماديًا.
- 2- الكبر بالحسب والنسب فالذي له نسب شريف يستحق من ليس له نسب حتى وإن كان أرفع منه علمًا وعملاً

- 3- الكبر بالمال فهذا يحصل بين كثير من الأغنياء المترفين
- 4- التكبر بالمنصب: وهذا يحصل من بعض من يتولون مراكز مهمة ورفيعة في الدولة.

علاج التكبر:

- 1- تذكير النفس بالعواقب والآثار المترتبة على التكبر.
- 2- عيادة المرضى، ومشاهدة المختضرين وأهل البلاء وتشجيع الجنائز، وزيارة القبور.
- 3- الانسلاخ من صحبة المتكبرين، والارتقاء في أحضان المتواضعين المخبتين.
- 4- مجالسة ضعاف الناس وفقرائهم، وذوى العاهات منهم، بل ومؤاكلتهم ومشاربتهم.
- 5- التفكير في النفس، وفي الكون، بل وفي كل النعم التي تحيط به من أعلاه إلى أدناه.
- 6- النظر في سير وأخبار المتكبرين، كيف كانوا؟ وإلى أي شيء صاروا؟ من إبليس و النمرود إلى فرعون.
- 7- حضور مجالس العلم التي يقوم عليها علماء ثقافت ناهجون.
- 8- المواظبة على الطاعات: فإنها إذا واطب عليها، وكانت متقنة لا يراد بها إلا وجه الله، طهرت النفس من كل الرذائل، بل زكّتها.

ثمرات التواضع

التواضع خلق كريم من أخلاق المؤمنين ودليل محبة رب العالمين عز وجل. وهو الطريق الذي يوصل إلى مرضاة الله وإلى جنته. وهو عنوان سعادة العبد في الدنيا والآخرة. وهو السبيل الذي يقربك من الله تعالى ويقربك من الناس. وهو السبيل للفوز بحفظ الله ورعايته وعنايته. وهو الطريق لحصول النضر والبركة في المال والعمر. وهو السبيل للأمن من عذاب الله يوم الفزع الأكبر. وهو دليل على حسن الخلق وقائد إلى حسن الخاتمة.

وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا

سلسلة تفسير القرآن العظيم الإصدار رقم (311)



قوانين من تفسير سورة الإسراء الآية 37

تهدى ولا تباع

ولا تنسونا من صالح دعائكم

أعدها (عزمي إبراهيم عزيز)

8- الذين يتكبرون بسبب العبادة أو الجمال، أو القوة أو الحسب والنسب، أو كثرة الأتباع والأنصار، فإنَّ حُمُقَهُمْ مَكشُوفٌ، ومَقَّتْ الناس لهم يكفهم، ولمَقَّتْ الله أكبر.

9- الأولى بالحُكَّام المتأهين، المستعبدین للرعيَّة، المختقرين للشعب - أن يَسْمَعُوا القرآن وهو يقصُّ ما حَدَثَ لأمتهم؛ حتى يعتبروا. ويَزدجروا.

10- الأجدر بالغني أن يَعْتَبِرَ بقصص المستكبرين من أمثاله، وينظر ماذا فعل الله بهم؛

11- المغرور يمشي في الأرض مرحاً فيبغضه الناس وليت المسكين يعلم أن الله سبحانه وتعالى يبغضه كذلك فإن الله لا يحب كل مختالٍ فخور.

12- الغرور صفة ذميمة في الإنسان إذا إتصف بها الشخص فإن ذلك يدل على نقص في نفسه ويريد أن يعوض ذلك بتلك البهجة الكذابة.

13- أن قلب المتكبر وتصيرته يعميها الله - تعالى - فلا يهتدي إلى الحق أبداً.

14- صاحب الكبر قد نازع الله جل وعلا في كبريائه؛ كما قال الله جل وعلا في الحديث القدسي: (العزة إزاري والكبرياء ردائي، فمن نازعني عذبه) أخرجه مسلم.

15- التواضع خلق كريم وهو خلق الانبياء والصالحين والمؤمنين وهو دليل على محبة الله رب العالمين .

16- يحب الله العبد المتواضع ويشمله برعايته وحفظه .

17- التواضع يساعد الانسان على النجاح في الحياة .

فمثلا طالب العلم المتواضع لا ينجح من السؤال عن شئ لا يعلمه فيزداد علما ومعرفة ونجاحا .

18- التواضع يشيع وينشر المحبة بين الناس ويزيل الكراهية والبغضاء والحق من قلوبهم .

والله اعلم .. صلى الله على نبينا محمد وعلى اله وصحبه وسلم .

الفوائد :

1- حرمة الكبر ومقت المتكبرين.

2- حينما أراد الحق سبحانه وتعالى أن يُؤنِّخ أهل التكبر الكاذب أتى بأدنى أجناس الوجود بالأرض والجال وهي جماد؛ لكنه قد يسمو على الإنسان ويفضل عليه.

3- يَنْهَى اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ عَنِ التَّجَبُّرِ، وَالتَّيَحُّرِّ فِي الْمَشْيَةِ، كَمَا يَفْعَلُ الْجَبَّارُونَ.

4- من الأخلاق الرديئة، والذنوب العظيمة، والأدواء الدفينة داء الكبر، ذلك الداء الذي يجعل المرء يعيش الوهم بكل معانية، يحسب بسببه المرء نفسه في أعين الناس عظيما، وهو عندهم حقير ذليل لكبره.

5- أن الكبر على الله كُفْرٌ، والكبر على رُسل الله كُفْرٌ، والكبر على عباد الله كُفْرٌ إنْ أدَّى إلى رُفْض ما جاء عن الله، أو عن رسوله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من العِلْمِ والذِّين، والأوامر والنواهي والإرشادات، وإنْ لم يُوْدِّ إلى ذلك، وكان مجرد تكبر على الناس لا يعدوهم، فإنَّ هذا التكبر مُحَرَّمٌ، يستحق صاحبه بسببه عذاب الله.

6- أن الواجب على كل مسلم أن يحذر الكبر وأن يتواضع و((من تواضع لله درجة رفعه الله درجة)).

7- الأجدر بالعلماء أن يتَّعَظُوا بما حَدَثَ للمتَكَبِّرِينَ من أمثالهم؛ فيتواضعوا للمؤمنين، ويتأثَّروا بسيرة خَيْرِ النبيين، ويشكروا الله على فضله عليهم؛ حيث أعطاهم ما لم يُعْطِ غيرهم، ويتذكَّروا ما حَدَثَ للمتَكَبِّرِينَ من علماء بني إسرائيل مثل بلعام بن باعوراء وغيره؛ حيث قال الله فيهم: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ خَبَلُوا السُّورَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة: 5].